الترجمات بين العربية والسنسكريتية: صفحة مشرقة من التبادل العلمي والثقافي

د. محمد أزهر *

ملخص

يتناول هذا البحث عمق الصلات الحضارية والعلمية بين العرب والهند منذ القدم، مشيرًا إلى أن التبادل الثقافي بين اللغتين السنسكريتية والعربية شكّل جسرًا معرفيًا ثريًا أسهم في تطور الفكر الإنساني. فقد كانت التجارة أولى بوابات التواصل بين الجانبين، أعقبتها حركة ترجمة واسعة للكتب العلمية والفلسفية والطبية من السنسكريتية إلى العربية، خاصة في العصر العباسي حين ازدهرت مراكز العلم في بغداد. ومن أبرز تلك الكتب السندهند في علم الفلك، وسوسروتا في الطب، وكليلة ودمنة في الأدب، والآراء والديانات للحسن بن موسى النوبختي، إضافة إلى سندباد وحوض الحياة.

كما ساهم علماء مثل البيروني في نقل العلوم السنسكريتية إلى العربية، مما أتاح للهند التعرف على مناهج العرب العلمية. ويشير الكاتب إلى أن العلاقة بين اللغتين لم تكن مجرد ترجمة نصوص، بل تفاعل حضاري متبادل أثمر مصطلحات علمية وفلسفية مشتركة. كما درس كثير من الهنود اللغة العربية، وبرز بينهم أدباء وشعراء كتبوا بها، مثل راجا رام موهن راي. ويخلص المقال إلى أن العربية والسنسكريتية كانتا ركيزتين للتواصل الثقافي والعلمي، وأن تراث الترجمة بينهما يمثل شاهدًا خالدًا على وحدة الفكر الإنساني وتكامل الحضارات.

الكلمات المفتاحية:

---

* باحث في اللغة العربية وكاتب أكاديمي وخبير متعدد اللغات، يسكن في نيو دلهي، الهند، البريد الإلكتروني:azharjnu1@gmail.com

العلاقات العربية الهندية – الترجمة بين العربية والسنسكريتية – البيروني – التبادل الحضاري – التراث العلمي – العصر العباسي – حركة الترجمة – الفلسفة والعلوم الهندية – الثقافة الإسلامية – التواصل الثقافي – التأثير المتبادل – المصطلحات العلمية المشتركة – راجا رام موهن راي – التاريخ الثقافي – وحدة الفكر الإنساني.

تمهيد

تتمتع الهند بتاريخ عريق زاخر بالعلم والمعرفة والحكمة منذ أقدم العصور؛ فهي أرض الفلسفة والعقل والرياضيات، وأرض خصبة انفتحت أبوابها لكل الأمم والديانات الوافدة من أقاصي الأرض وأدانيها. وقد رحّبت الهند دائمًا بحَمَلة العلم والمعرفة من مختلف أنحاء العالم، تمامًا كما رحّبت بقوافل التجارة، فكان لهذا الانفتاح أثره الكبير في نيلها قبولًا واسعًا في العالم وأوساطه العلمية.

وهي أيضًا أرض الكهانة والعرافة، وموطن الرهبان والزهاد، تحتضن آلاف العباقرة في شتى المجالات، من علوم ومعارف وفنون وعبادات وروحانيات. كما تزخر الهند بالملاحم والقصص الرمزية التي أغنت تراثها العلمي والروحي، وأكسبتها مكانة خاصة في تاريخ الحضارات الإنسانية.

وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن سلسلة الوحي الإلهي بدأت من هذه الأرض المباركة، إذ يرون أن آدم عليه السلام، أول خليفة لله في الأرض، نزل في أرض الهند — وبالتحديد في *سرنديب* (التي تُعرف اليوم بسريلانكا)، وكانت حينها جزءًا من الهند الكبرى، ولذلك سُمّيت *دار الخلافة* .ويؤيد هذا الرأي ما أورده الإمام جلال الدين السيوطي في *الدر المنثور* في تفسير قوله تعالى في سورة الأحقاف، إذ أخرج ابن أبي حاتم عن عليٍّ رضي الله عنه قوله:

"خير وادٍ في الناس وادي مكة، ووادٍ نزل به آدم بأرض الهند".

ومن هذا المنطلق، اعتبر بعض المؤرخين أن الهند كانت أول أرضٍ نُطقت فيها العربية، إذ يُروى أن آدم عليه السلام تكلّم بالعربية حين نزل فيها. لقد كانت الهند، وما تزال، أرض الحكمة التي تفجّرت منها ينابيع المعرفة، ومهوى أفئدة الناس لما تمتاز به من حضارة عريقة، وطبيعةٍ خضراء غنّاء، وغاباتٍ شاسعة، وتنوّعٍ ديني وثقافي فريد، وحكاياتٍ أسطورية آسرة. وهذه الخصال مجتمعة هي التي جذبت إليها أنظار العالم وقلوب شعوبه، فتوافدوا إليها من كل صوبٍ طلبًا للعلم، ولذةَ التأمل في أسرارها وسحرها الأبدي.

ومن هذه القوافل كانت المسيرة العربية التي كانت تحمل التجارة نزلت بسواحل الهند عن طريق البحر الذي يمس العرب من ناحية ويمس الهند بأخرى، وتعود المناطق العربية بطبيعتها مركز الاتجار ومتجر السلع لحاجات الناس، وهذه الحاجة التي تسببت في بناء العلاقة بين الدول العربية والهند، ويعود تاريخ التجارة العربية إلى قبل آلاف سنة.

وعندما نقرأ التاريخ الهندي القديم، نجد إشارات واضحة إلى البحرين والعراق والثقافة العراقية، وإلى حركة التجارة المتبادلة بين المنطقتين. وقد كانت تلك الصلات التجارية والثقافية من أوائل الجسور التي عرّفت العربَ بالهند وثقافتها، كما عرّفت أهل الهند بالعرب وحضارتهم. ومنذ ذلك العصر البعيد، لم تنقطع هذه العلاقة ولم تضعف، بل استمرت راسخةً ومتطورة عبر القرون.

وفي مراحل لاحقة، أدّت تلك الصلات الوثيقة إلى ترجمة الكتب الهندية الغنية بالحِكم والمعارف إلى اللغة العربية ليستفيد منها العلماء العرب، كما تُرجمت الكتب العربية إلى اللغات الهندية. ومع مرور الزمن، ازدادت هذه العلاقة قوةً ورسوخًا، وتعززت الثقة المتبادلة بين الجانبين، حتى

إذا بزغ فجر الإسلام وبلغ نوره أرض الهند, استقبلته هذه البلاد بكل حفاوة وحماس, ووجد بين أهلها قلوبًا منفتحة وعقولًا نَيّرة.

لقد كانت التجارة البوابة الكبرى للتواصل بين العرب والهند, ومنها انطلقت جسور اللغة والثقافة. فقد أسهمت في ترسيخ اللغة العربية في الهند, كما ازداد اهتمام العرب باللغة السنسكريتية وعلومها, ويشهد على ذلك الكم الكبير من الكتب التي تُرجمت في تلك الحقبة بين اللغتين. وهكذا نشأ جيل من عباقرة العلماء والمفكرين من العرب والهنود ممن جمعوا بين إتقان العربية والسنسكريتية معًا, فكانوا وسطاء حضارة أسهموا في إثراء الأدب والفلسفة والتاريخ بتبادل الأفكار والرؤى والمناهج.

ولا ريب أن العرب أبدوا اهتمامًا عميقًا بالعلوم الهندية وتقديرًا رفيعًا لعلماء الهند, فعملوا على توثيق العلاقات التجارية والعلمية بين الجانبين, ولا سيّما في صدر الإسلام حين امتدت الدولة العربية لتلامس حدود شبه القارة الهندية. وقد نزل كثير من الأدباء والعلماء العرب في بلاد الهند, وكتبوا عنها, وترجموا من مؤلفاتها, وناقشوا علماءها في شتى العلوم.

ومن أبرز هؤلاء المؤرخين والرحالة العرب الذين أسهموا في نقل الفكر الهندي إلى العالم العربي:

- التاجر سليمان الذي دوّن أخبار الهند وتجارتها,
- المسعودي في كتابه *مروج الذهب*,
- ابن بطوطة الذي زار الهند وارتبط اسمه بالثقافة الشعبية الهندية حتى اليوم,

- أبو الريحان البيروني الذي تُعدّ دراسته *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرزولة* من أعظم ما كُتب عن الحضارة الهندية،
- وابن حوقل الذي وصف أحوال الهند في كتابه *صورة الأرض*.

وقد نقل هؤلاء وغيرهم قدرًا عظيمًا من المعارف الهندية والفلسفية إلى العربية، في مجالات الحكمة، والطب، والحساب، والفلك، والفلسفة، فكانت الترجمة من السنسكريتية إلى العربية جسرًا متينًا ربط بين حضارتين عريقتين وأسهم في بناء التراث الإنساني المشترك.

وقد كان هناك زمن ازدهر فيه التفاعل الثقافي بين العرب والهنود، حين كانت اللغة العربية والسنسكريتية معًا جزءين أساسيين من المقررات الدراسية، فيتعلّم الطلاب اللغتين جنبًا إلى جنب دون أي عصبية دينية أو تمييز بين المسلمين والهندوس. كان العلم آنذاك فوق الانتماءات، يجمع القلوب على حب المعرفة وطلب الحكمة.

ويشير أبو الفضل في كتابه الشهير *آئين أكبري* إلى هذه الظاهرة الفريدة، فيذكر أسماء عدد من العلماء الهنود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية إلى جانب السنسكريتية ويقومون بتدريسها معًا. ومن هؤلاء :مهاديو(Maha Dev) ، وبهيم ناته(Bheem Nath) ، ومادهو(Madhu) ، ورام تشاندر(Ram Chander) ، ورام كِشن (Ram Kishan) وغيرهم من العلماء الذين مثّلوا روح التسامح والانفتاح الفكري في الهند المغولية. لقد كان أولئك العلماء مثالًا حيًّا على التلاقي بين الحضارتين العربية والهندية، إذ جمعوا بين دراسة النصوص العربية الفلسفية والعلمية

والنصوص السنسكريتية الدينية والأدبية, وأسهموا في ترسيخ حوار ثقافي خلاق أنتج معرفة متبادلة أثرت الأدب والفكر في الجانبين..[١]

وهذه المقالة سوف تبحث في مساهمات الترجمة للكتب السنسكريتية إلى اللغة العربية ببسط ووضوح كامل.

ومنها في الطب: والطب الذي يعرف في الهند بآيورويدا وهو قريب من طريق علاج بقراط وجالينوس، ومن أشهر كتب الطب الهندية المترجمة إلى العربية كتاب "سوسروتا"والتي سميت باسم "سسود" بعد ترجمتها من الخليفة المنصور سنة ٧٥٣-٧٤٤.[٢]

ومن المترجمين محدث كبير ونابغة العصر اسمه رجاء السندي، وقد سافر إلى إيران وعُرف بإسفرائني في التاريخ, وكان محدثاً كبيراً حتى شهد المحدث الشهير الحاكم ببراعته, فإنه كتب: ركنا من أركان الحديث. والآخر منهم أبو العطاء السندي أديب بارز وكاتب مبدع، حتى وجد أشعاره مكانا في ديوان الحماسة, وهذا هو خير دليل على براعته في اللغة العربية وآدابها, وبالإضافة إلى ذلك كثير, وهؤلاء العلماء هم من دخلوا في الإسلام.

أما العلماء الهنود الذين كتبوا بالعربية والسنسكريتية مع احتفاظهم بأديانهم الأصلية, فقد كان منهم الأطباء المهرة, والكتّاب, والفلاسفة الذين وصلوا إلى بغداد عبر طرق التجارة والمعرفة من الهند والسند .وإذا تأملنا في أسمائهم وإسهاماتهم العلمية, أدركنا أن اللغة العربية كانت معروفة لدى الهنود المتعلمين, كما أن كثيرًا من العلماء العرب المقيمين في السند قد تعلموا اللغات المحلية هناك, أو استخدموا الفارسية لغةً للتواصل العلمي والثقافي بين الجانبين.

---

[١] البلغرامي, أزاد غلام علي,ص: ١٣٥
[٢] www.worldhistory.org

ومن هؤلاء العلماء الهنود من ترجموا مؤلفاتهم إلى العربية أو نقلوا إليها كتبًا من السنسكريتية, كما قام بعض العلماء العرب بترجمة مؤلفاتهم إلى اللغة السنسكريتية .ولم تكن تلك الكتب رواياتٍ أو قصصًا يسهل نقلها، بل كانت مؤلفاتٍ عميقة في الفلسفة والعقيدة والطب، تحتاج إلى براعةٍ لغوية ودقّةٍ علمية ومعرفةٍ واسعة بالمصطلحات. وقد مكّن هذا التفاعل اللغوي والثقافي الهند من أن تكون جسرًا حضاريًا نقل إلى العرب كنوز علومها القديمة، وأسهم في إبداع مصطلحاتٍ علمية وفلسفية جديدة.

وقد شملت هذه الترجمات علومًا دقيقة مثل الطب، والرياضيات، والفلك –وهي علوم معقدة حتى في عصرنا الحاضر – وقد احتفظت بعض المصطلحات المنقولة بأصولها الهندية–العربية، مما يعكس أثر اللسان السنسكريتي في اللغة العلمية العربية. فمثلًا:

- مصطلح الجيب في الرياضيات مأخوذ من الكلمة السنسكريتية "جيوا".(Jewa)
- ومصطلح الأوج مأخوذ من "أوج" (Auch) ويُستخدم في علم المثلثات.
- وفي علم الفلك، يُستعمل مصطلح "أرين "للدلالة على النقطة التي يتقاطع عندها خط نصف النهار مع خط الاستواء، وأصلها "أُجَّين"(Ujjain) ، وهي مدينة هندية عريقة تقع في منطقة مالوه (Malwah) التابعة اليوم لولاية مدهيا براديش، وقد اعتبرها الفلكيون الهنود نقطة تقاطع فلكية رئيسة في حساباتهم.

وهذه الشواهد اللغوية والعلمية تشهد على عمق التواصل الفكري بين الهند والعرب، وعلى الدور الريادي للترجمة في نقل العلوم الدقيقة وتوطينها في بيئات ثقافية جديدة, كما تعكس التحديات الكبرى التي واجهها المترجمون في محاولتهم إيجاد مقابلات عربية دقيقة للمفاهيم

الهندية، إذ إن كثيرًا من تلك المصطلحات ظلّت محتفظة بجذورها السنسكريتية إلى اليوم، دلالةً على عمق التأثير المتبادل بين اللغتين والحضارتين ، وتبدلت هذه الكلمة أولاً بأزين في العربية ثم ذهبت نقطة الزاء فصارت "أرين.[٣]

وفي تلك الحقبة، احتلت الهند مكانة مرموقة في الوعي العربي، فشدّ إليها العرب الرحال، وكتبوا عنها وعن أهلها وعاداتها وتقاليدها، واستفادوا من علومها ومعارفها، ثم دوّنوا مشاهداتهم وأفكارهم بتفصيل ودقّة لافتة. وقد كانت هذه الرحلات نافذةً علمية وثقافية كبرى أطلّ منها العرب على عالمٍ مفعم بالحضارة والتنوّع.

ومن أبرز هؤلاء الرحّالة سليمان التاجر (٢٢٥هـ) وأبو زيد السيرافي (٢٤٢هـ)، اللذان أقاما في جنوب الهند وفي الجزر الهندية، ونقلا إلى القرّاء العرب أوصافًا دقيقة عن طبيعة البلاد، وتجارتها، وعادات أهلها، وطرقهم في الملاحة والمعاش. كما أشارا إلى ما كان بين العرب والهنود من علاقاتٍ تجارية وثقافية مزدهرة امتدت عبر البحار والموانئ.

غير أن أعظم من كتب عن الهند ودرسها دراسة علمية موسّعة هو أبو الريحان البيروني (ت ٤٤٠هـ)، الذي يُعدّ بحقّ رائد الدراسات الهندية في التراث الإسلامي. فقد أوضح في مؤلفه الخالد *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة* الملامح الحضارية والفكرية للهند، وكتب عن أقاليمها وولاياتها وجغرافيتها الطبيعية، ووصف جبال الهملايا وصفًا دقيقًا، كما تناول المراكز العلمية والثقافية التي كانت مزدهرة في عصره.

[٣] (المرتب: صباح الدين) مقالات سليمان ص:٢٨

ومن بين الرحّالة العرب الذين زاروا الهند أيضًا من كتب عن أحد ملوك الجنوب الهندي الذي أبدى إعجابًا كبيرًا بالثقافة الإسلامية وطلب ترجمة القرآن الكريم إلى لغته المحلية .وقد نُفذت هذه المبادرة بمساعدة عددٍ من التجّار العرب والسياح المقيمين، في واحدة من أوائل المحاولات التاريخية لترجمة القرآن إلى اللغات الهندية، وهو ما يعكس عمق التواصل الروحي والمعرفي بين العرب والهنود منذ القرون الأولى للهجرة.

وفي هذا السياق، يجدر بنا أن نُشير إلى الكتب التي تُرجمت بين العربية والسنسكريتية، وهي تمثّل سجلًّا حافلًا بالشواهد على التواصل العلمي بين الحضارتين. ومن أبرز هذه الكتب كتاب "سِندْهند"، الذي يُعدّ من أوائل النصوص العلمية الهندية التي نُقلت إلى العربية.

وقد شاع في المصادر العربية تسميته بـ "السِّندِ الهند – "بإضافة "أل" التعريف – وهي صيغة غير دقيقة من حيث الأصل اللغوي، إذ إن التسمية الصحيحة في السنسكريتية هي "برهمَپُت سِدهانْت(Brahmaputra Siddhānta) "، أي *المبادئ الكبرى لبرهماپُترا* .غير أن العلماء العرب حين نقلوا الاسم إلى لغتهم اقتصروا على الجزء الأخير "سِدهانْت"(Siddhānta) ، الذي يعني *المبادئ أو الأسس العلمية*، فعرّبوه إلى "سِندْهند"، ثم شاع لاحقًا بصيغة "السِّندِ الهند."

ومؤلف هذا الكتاب هو برهم غوبتا(Brahmagupta) ، أحد أعظم علماء الفلك والرياضيات في الهند القديمة، وقد ألّف كتابه هذا نحو عام 828م، وأهداه إلى الملك دياغره (Diaghar) الذي يُعرف لقبه بـ *بيت المصباح* .ويُعدّ هذا المؤلَّف من أهم الكتب التي أثّرت في تطور علم الفلك والرياضيات عند العرب، إذ تضمّن مفاهيم دقيقة في حساب الزمن، وحركة الكواكب، والتقويم، والمسائل الرياضية التي كانت متقدمةً على عصرها.

وقد قام العلماء العرب بدراسة هذا الكتاب بعمقٍ بالغ، ونقلوا كثيرًا من مصطلحاته ومعادلاته إلى العربية، فكان له أثر مباشر في أعمال علماء الفلك المسلمين، مثل محمد بن موسى الخوارزمي الذي أفاد منه في تأليف كتابه الشهير *الزيج السند هند*، مما جعل هذا الأثر الهندي أحد الأسس التي قامت عليها المدرسة الفلكية الإسلامية في بغداد خلال العصر العباسي، والذي صار فيغر في العربية.[٤]

ويُعدّ كتاب "سِدهانت "من أبرز المؤلفات الفلكية في التراث الهندي القديم، إذ تعني كلمة *سِدهانت* في اللغة السنسكريتية »المستقيم الذي لا يعوج ولا يتغير«، ويُطلق هذا الاسم على كلِّ ما بلغ عند الهنود مرتبةً عليا من علوم حساب النجوم والفلك .وكان هذا المصطلح يُستخدم للدلالة على المؤلفات التي تتضمن المبادئ الدقيقة للحسابات الفلكية وحركات الكواكب والنجوم وتحديد الأزمنة.

ويشتمل هذا الكتاب على خمسة "زيجات" أو أنظمة فلكية رئيسة، لكلٍّ منها طابع خاص ومؤلف معروف عند علماء الهند، وهي كما يلي:

١. سورج سدهانت – (Surya Siddhānta) وهو منسوب إلى الشمس (سورج)، ويُعدّ من أقدم المؤلفات الفلكية المعروفة، وقد قام بتأليفه العالم لات(Lata) ، ويضم جداول دقيقة لحساب مواقع الكواكب وحركاتها.
٢. بَشِِشت سدهانت – (Vashishta Siddhānta) منسوب إلى أحد كواكب بنات نعش، ويتناول النظام الكوني ودوائر الفلك في تصور الهنود القدماء.

[٤](المرتب: صباح الدين) مقالات سليمان ص ٢٩

٣. بولس سدهانت – (Pauliśa Siddhānta) منسوب إلى بولس، ويُعتقد أنه تأثر بالمصادر الفلكية اليونانية، مما يشير إلى تداخلٍ علمي بين الثقافة الهندية واليونانية.

٤. رومَك سدهانت – (Romaka Siddhānta) منسوب إلى الروم (الإمبراطورية البيزنطية)، ويُظهر مدى تأثر الفلك الهندي بالعلوم الهلنستية، إذ يحتوي على مفاهيم رياضية وتقويمية متقدمة وصلت إلى الهند عبر التبادل العلمي القديم.

٥. براهم سدهانت – (Brahma Siddhānta) منسوب إلى العالم برهمَ غوبتا (Brahmagupta)، وهو الذي طوّر النظام الفلكي الهندي وأدخل عليه مبادئ رياضية دقيقة في الحساب والفلك، وأثره واضح في المدرسة العباسية الإسلامية لاحقًا.

وهذه الأنظمة الخمسة تمثّل عند علماء الهند المصادر الكبرى للفلك القديم، وقد شكّلت الأساس الذي انطلقت منه حركة الترجمة إلى العربية في العصر العباسي، خصوصًا في بيت الحكمة ببغداد، حيث درستها النخبة العلمية الإسلامية بعناية ونقلت عنها جداول فلكية دقيقة أسهمت في تطوير علم الزيج عند المسلمين..[٥]

وقد اطلع على الكتاب عالمان من علماء العرب (أحدهما إبراهيم بن حبيب الفزاري الذي كان من أسرة الصحابة سمرة بن جندب وهو صحابي شهير، وثانيهما يعقوب بن طارق)

وقد نال كتاب "سِندهند" (سِدهانت) قبولًا واسعًا في الأوساط العلمية ببغداد، التي كانت آنذاك عاصمة العلم والفكر والفن في العالم الإسلامي، ومقرًا لأشهر المدارس والمراصد الفلكية.

---

[٥] (المرتب: صباح الدين) مقالات سليمان ص ١١٨

وسرعان ما ذاع صيت هذا الكتاب, فانتقلت نسخه وأفكاره إلى الأندلس, حيث تلقّاه العلماء بالبحث والتحليل, وأصبح موضوعًا للنقاش في البيئات العلمية العربية والإسلامية.

وقد تناول هذا الكتابَ عددٌ من علماء العرب بالشرح والنقد, ومن أبرزهم عبد الله بن أحمد السرقسطي (توفي سنة ٤٣٨هـ), وهو أحد أساتذة الهندسة والفلكيات, إذ ألّف رسالةً خصصها لذكر الأخطاء والهفوات العلمية التي لاحظها في بعض معادلات الكتاب ومفاهيمه الفلكية. غير أن العالم ابن صاعد الأندلسي ردّ عليه, ودافع عن محتويات *السِندهند*, مؤكدًا قيمته العلمية ودقّته المنهجية, ومشيرًا إلى أن كثيرًا من المسائل التي بدت غامضة كانت نابعة من اختلاف المصطلحات والمفاهيم الفلكية بين الهند والعرب, لا من الخطأ في الحساب ذاته.

وتُعدّ هذه النقاشات العلمية شاهدًا على المكانة التي حظيت بها العلوم الهندية في الفكر العربي الإسلامي, كما تدل على أن العلماء العرب لم يكتفوا بالترجمة, بل درسوها وفحصوها وناقشوها وطوروا مضامينها. كما تُظهر هذه المرحلة أن عددًا من العلماء العرب قد أتقنوا اللغة السنسكريتية في أثناء إقامتهم في الهند, حتى أصبحوا قادرين على ترجمة النصوص الأصلية مباشرة, وهو ما يدل على وجود أساتذة هنود وعرب كانوا يدرّسون اللغتين معًا في بيئة علمية خصبة يسودها الانفتاح والتفاعل الثقافي.

وهكذا, شكّل كتاب *سِندهند* نموذجًا فريدًا لتلاقي الفكر الهندي والعربي, إذ لم يكن مجرّد ترجمة نص علمي, بل جسرًا حضاريًا متينًا عبرت من خلاله المعارف الفلكية والرياضية من الشرق إلى الغرب, وأسهم في بناء منظومة العلوم التي ازدهرت في الحضارة الإسلامية من بغداد إلى قرطبة.

فهذا الكتاب الذي وصل إلى العرب مع علماء الهند في أيام أبي جعفر المنصور وهو كان في اللغة السنسكريتية, فكلف أبو جعفر أبا إسحاق إبراهيم بن الفزاري بتعريبه, ففعل ولما أتم ترجمته وتعريبه قام الخوارزمي بتصحيحه ومراجعته، ويقول كثير من المؤرخين إلى هذا الكتاب (السدهانتا) لم يفد منه العرب غير الأرقام، ولكن يقول العالم الرياضي الشهير أبو الريحان البيروني إن صور الحروف وأرقام الحساب تختلف باختلاف الأماكن، وإن العرب أخذوا ما عند الهنود من أشكال الأرقام فهذبوها وكونوا فيها سلسلتين، عرفت إحداهما بالأرقام الهندية وهي التي تستخدمها الأقطار العربية حتى الآن، وعرفت الثانية باسم الأرقام الغبارية وقد شاع استعمالها في بلاد العرب والأندلس وعن طريق الأندلس دخلت أوروبا وعرفت عندهم باسم الأرقام العربية (وهي أصالة الهند) والفزاري الذي قام بتعريب كتاب "السندهند" وقام بتأليف كتاب عن جداول الهيئة، وألّف كتابين في العمل بالأصطرلاب ذات الحلق المسطح وهو الأول من عمل اصطرلابا في العرب.[٦]

والكتاب الثاني: كتاب الآراء والديانات ومذاهب الهند وآرائهم والعلة التي لها. ترجمه الحسن بن موسى النوبختي، وهو يبحث عن المذاهب الهندية ومعتقداتها.

الكتاب الثالث: كليلة ودمنة وهذا الكتاب الذي نقله ابن المقفع إلى العربية من اللغة البهلوية ولكن أصله يرجع إلى اللغة السنسكريتية وهو كتاب القصة والحكايات، وفيه تعليم للإنسان على لسان الحيوانات.[٧]

---

[٦] البيروني أبو الريحان: تحقيق ما للهند ص: ١١٨
[٧] بان غستاؤلي: تاريخ تمدن هند ص: ٣٣٤

الكتاب الرابع: وهو الكتاب, بقلة وعفرة نقله سهل بن هارون للمامون يعارض فيه كليلة ودمنة في أبوابه وأمثاله يزيد عليه في حسن نظمه.[٨]

والكتاب الخامس سندآباد: سندآباد في الهند قد يحمل على لقب لحكماء الهند ويعني أمير الحكماء, فإن سندآباد هو الرجل الحكيم في عهد الملك كوتش (أشوكا) كما ذكر اليعقوبي في "تاريخه" عند ذكر ملوك الهند: ومنهم كوء الملك الذي كان في زمان سندآباد الحكيم. وذكر النويري في "نهاية الأرب" ثم ملك بعد كوش فأحدث للهند آراء في الديانات على حسب ما رأى من صلاح الوقت, وما يحتمله أهل العصر من التكليف وخرج من مذاهب من سلف, وكان في مملكته وعصره سنداباد وله كتاب "الوزراء السبعة والمعلم والغلام وامرأة الملك" وهو الكتاب المترجم بـ "كتاب السند باد" وهذا يحتوي على الأساطير الإغريقية وغيرها من الأساطير الهندية والفارسية.[٩]

الكتاب السادس: وهذا الكتاب "حوض الحياة" الذي ترجم الكتاب في اللغة السنسكريتية الذي ألفه العالم الكبير الهندوكي بهوجر (Bhoojar) أما المترجم فهو القاضي ركن الدين, إنه تعلم اللغة السنسكريتية أولاً من العالم الهندي بهوجر حتى أنجز الترجمة.[١٠]

وذكر العالم الكبير والمؤرخ الشهير السيد سليمان الندوي رحمه الله أسماء كثير من علماء الهندوس الذين تعلموا اللغة العربية بكل شوق حتى تمكنوا من نظم الشعر في العربية,

[٨] جامع القصص العربية في الأخبار الهندية ص:٨
[٩] www.alhadeed.com
[١٠] النميري شهاب الدين: نهاية الأرب ص: ٣٨

ومنهم الطالب رائ منوهر لال ابن رائ كرن (Rai Manohar son of Rai Kiran) الذي تعلم العربية والفارسية ونال شفقة الملك جهان غير (Jahangir) فقرض الشعر في العربية.

يذكر أبو الفضل في كتابه الشهير "آئين أكبري" أسماء الفضلاء الهنادك الذين يعلمون اللغة العربية مع السنسكريتية, وهذه الأسماء مثلاً: مهاديو (Maha Dev) بهيم ناته (Bheem Nath) مادهو (Madhu) رام تشاندر (Ram Chander) رام كشن (Ram Kishan) وما إلى ذلك.

فمثلاً راجا رام موهن راي الذي يعتبر مؤسسا لطائفة برهمو سماج (مجتمع برهمو) وراجا كشيبب جندر سين، وهما مصلحان كبيران في المجتمع البنغالي، وهما أيضا كانا عالمين كبيرين للغة العربية، إنهما تعلما العربية في مدرسة "بتنا" وصنف الأول كتاب الموحدين في العربية.

وعلاوة على ذلك فهناك كتب كثيرة ترجمت من السنسكريتية إلى العربية، بعضها معلوم وبعضها مدفون في غياهب التاريخ وضاع جزء كبير منها مع الأيام. ومهما كان – تدل هذه اللمحات على عمق التبادل العمي بين العربية والسنسكريتية كما تثبت أن اللغة العربية والسنسكريتية كانتا متقاربتين وتحظيان باحترام بالغ لدى العرب والهنود. يكتب ابن صاعد المؤرخ الشهير أن المؤلفات الهندية قل وصولها إلينا لبعد المسافة, ولكن الثلاثة المهمة وصلت إلينا, وهي: السندهند في علم النجوم والفلك (٢) وكليلة ودمنة في الأخلاق (٣) والنافر في الموسيقى. وفي موضوع الحساب وصل إلينا حساب الغبار.

الكتب العربية التي ترجمت إلى اللغة السنسكريتية:

إن العرب وفروا للهند في القرون الوسطى معلومات ضخمة ومعرفة قيمة وتجربة غنية ازدهرت في بغداد وغيرها من مراكز العلوم العربية خلال العصر العباسي، وهذا الأمر واضح في المباني الضخمة الأثرية والفنون الجميلة والتجارة والملاحة والصناعة خاصة في صناعة الزجاج والنقش والصناعة الكيماوية والفنون العسكرية، وهذه العلوم جاءت إلى الهند عن طريق الترجمة العربية إلى السنسكريتية وكذلك بواسطة الترك والأفغان والفرس والمغول الذين اتبعوا الخطوط العربية في هذه العلوم والمعارف، فدعني استعرض بعض المساهمات العربية في الثقافة الهندية ومعرفتها:

كتب البيروني[١١] تاريخ الهند والصيدلة في الطب وهو من أحد الدعائم الذي لعب دوراً بارزاً في تقريب اللغة العربية إلى السنسكريتية كما له مساهمات في تبادل المعلومات ونقلها من دولة إلى أخرى.[١٢] وهو يعتبر أول الفاتح العلمي في الهند من العرب، فهو نزل الهند في عهد السلطان محمود الغزنوي وهو عهد العلوم والفنون وهو يكتب: إني تلمذت لدى العلماء الهنود في العلوم الفلكية، فإني كنت لا أعلم اللغة الهندية، ولكن إذا زادت معرفتي في اللغة الهندية فأصبحت أستاذاً لهم، فإني كنت أعلم فن الرياضية والفلك، فيأتون لدي لتعليم الفلكية (فأصبح التلميذ أستاذا) وتحيروا إذا رأوا معلوماتي في الفن، فإنهم يظنون أنهم لا يعادلهم أحد في الفن ولكن خبطت ظنونهم وفسدت آمالهم ولقبوا بي الساحر وبحر العلوم.

[١١] . كان البيروني فيلسوفاً وطبيباً وماهراً في الرياضية والجيولوجية وكان رحالاً وفلكياً وجغرافياً وكان يعلم لغات عديدة مثل العربية والفارسية واليونانية والسنسكريتية، وكأنه مكتبة قيمة في نفسه. وهو معاصر ابن سينا وكتب عديداً من الكتب في موضوعات شتى من التاريخ والحساب والفلسفة، وله إسهامات في حساب المثلثات والدائرة، وخطوط الطول والعرض ودوران الأرض.

[١٢] Khan Saleem M.A.: Al Bairuni's discovery of India and interpretive study, page no **11**

فهذا العالم الرحّالة، النابغ في العلوم والفنون، لم يكن ناقلًا للمعرفة فحسب، بل جسرًا حضاريًا بين العرب والهنود. فقد درس البيرونيُّ اللغة السنسكريتية واطّلع على علوم الهنود وفلسفتهم، ثم ألّف بالعربية كتبًا عديدة عرّف فيها المسلمين بتراث الهند، أما في ميدان العلوم الرياضية والفلكية، فقد ألّف البيروني رسائل في الأصطرلاب، هذه الآلة الفلكية الدقيقة التي تُنسب أصولها إلى اليونان، وقد طوّرها العلماء العرب حتى بلغت عندهم درجة عالية من الدقة والإتقان. والأصطرلاب في أصله آلة تُعرف عند العرب بـ«ذات الصفائح»، تُستخدم لتمثيل القبة السماوية ولتحديد المواضع والكواكب والأوقات.

وقد كان البيروني من أبرز من شرح قواعد هذه الآلة وبيّن طرائق استعمالها، مما كان له أثرٌ في انتشار معارفها في الشرق الإسلامي، وقد نقل بعض هذه المعارف إلى الهند أثناء مقامه هناك، فاطّلع عليها العلماء الهنود واستفادوا منها. وتدل مؤلفاته على عمق معرفته بالمصطلحات العلمية في كل من العربية والسنسكريتية، وعلى قدرته الفريدة في نقل العلوم بين الثقافات بدقة ووعي.والأصطرلاب في الأصل آلة فلكية قديمة سماها العرب ذات الصفائح، وهو نموذج ثنائي البعد للقبة السماوية، وهو يرينا كيفية روية السماء في مكان محدد في وقت محدد، وهو يعين على تحديد المواضع السماوية، وهو طوراً سهلة الحجم وطوراً ضخم نحو عدة أمتار،[١٣] وهذه الألة كانت مفيدة في تعيين الوقت واليوم وتحديد مكان الشمس والآن تعرف بـ (The Astrolobe) ومهما كان، فقواعد الأصطرلاب كتب عنها البيروني التي استفاد منها العالم كله بما فيها الهند أيضا.

[١٣] Al Hasani, Salim: 1001 innovations of Muslim heritage in our world, page no:48

من الكتب التي كان لها أثر بالغ في تاريخ العلوم كتاب المجسطي, وهو مؤلَّف عظيم في الهندسة والفلك وضعه بطليموس الإسكندري في القرن الثاني الميلادي, وقد تُرجم إلى العربية في عهد الخليفة العباسي المأمون ضمن حركة الترجمة الكبرى التي ازدهرت في بيت الحكمة ببغداد, فكان له أثر عميق في الفكر العلمي الإسلامي. أما البيروني فقد اطّلع على *المجسطي* وناقش كثيراً من آرائه في مؤلفاته الفلكية, مثل *القانون المسعودي*, وقرن بين المعارف اليونانية والهندية, مبيناً أوجه الاختلاف والاتفاق بينها, مما أسهم في تقريب الفكرين العلميَّين.

ويذكر تاريخ فرشته أن السلطان زين العابدين الكشميري (تولى الحكم سنة ٨٢٦هـ) أمر العلماء في عصره بترجمة كثير من الكتب العربية والفارسية إلى اللغة الهندية, قائلاً:

"وفرمودتا اكثرے از كتب عربى و فارسى بزبان ہندى ترجمہ كردند.[١٤]

"معظم المؤلفات العربية ترجم إلى اللغة الهندية" وهذا يدل على استمرار الأثر العميق الذي تركه العلماء المسلمون, وفي طليعتهم البيروني, في تمهيد سبل التبادل العلمي والثقافي بين الهند والعالم الإسلامي.

والغرض من ذلك أن اللغتين العربية والفارسية والسنسكريتية كانت لغة التخاطب في ذلك الحين, ومما يدل على أهمية اللغة العربية في الهند, وهو أن الإنجليز لمّا استولوا على الهند وأحرزوا السيطرة السياسية والاجتماعية عليها وعينوا العمال والمسؤولين على المناصب العليا الذين نجحوا في الاختبار التقابلي الذي كان يعقد في انجلترا, وهذا الاختبار كان بمثابة اختبار الخدمة المدنية (I.A.S) وفي ذلك الوقت, يرجح الرجل الذي يعلم اللغة العربية أو الفارسية أو

---

[١٤] محمد قاسم: تاريخ فرشته ص: ٣٤٤

السنسكريتية, ويجد رتباً أعلى من الذين لا يعلمون إحدى اللغات المذكورة. وهناك رسائل ومخطوطات ظلت في طي النسيان ولكن هذا القدر يكفي لإثبات العلوم وحركات الترجمة من العربية إلى السنسكريتية وبالعكس, ويثبت ما كان من احترام العلوم والعلماء في العالم الهندي والعربي.

الخاتمة

إن حركة الترجمة بين العربية والسنسكريتية ليست مجرد ظاهرة لغوية, بل هي فصل من فصول التاريخ الثقافي الإنساني الذي تجلّت فيه أسمى صور التفاعل الحضاري بين الهند والعالم العربي. فقد كانت الترجمة جسرًا لنقل العلوم والفلسفات والمعارف, وأداة لتلاقح الأفكار وتبادل الرؤى حول الكون والإنسان والحياة. ومن خلال جهود علماء كبار أمثال البيروني وغيرِه من المترجمين والباحثين, تمكّن العالم العربي من الاطلاع على ذخائر الفكر الهندي في الفلسفة والرياضيات والطب والفلك, في حين انتقلت عبر الترجمات المقابلة إلى السنسكريتية صورٌ من الحكمة العربية والإسلامية التي أغنت الفكر الهندي وأسهمت في تطويره.

وهكذا, فإن هذا التفاعل المعرفي بين اللغتين لم يكن مجرد تبادلٍ نصي, بل حوارًا عميقًا بين حضارتين عريقتين, اتحدتا في السعي إلى الحقيقة والمعرفة, ووضعتا أسساً متينة لنهضة فكرية وإنسانية ما زالت آثارها حاضرة إلى اليوم. إن دراسة هذا التراث المترجم ليست فقط استعادةً لماضٍ مشرق, بل هي دعوةٌ إلى إحياء روح الترجمة من جديد, لتظلّ جسور التواصل بين الثقافات مفتوحة ومتدفقة بالعطاء.

قائمة المراجع

١. أبو الريحان البيروني, *تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة*, تحقيق: إدوارد سخاو, ليدن: مطبعة بريل, ١٨٨٧م.
٢. ابن بطوطة, *رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)*, بيروت: دار الفكر, د.ت.
٣. المسعودي, *مروج الذهب ومعادن الجوهر*, تحقيق: يوسف أسعد داغر, بيروت: دار ومكتبة الهلال, ١٩٨٩م.
٤. ابن حوقل, *صورة الأرض*, بيروت: دار مكتبة الحياة, د.ت.
٥. اليعقوبي, *تاريخ اليعقوبي*, بيروت: دار صادر, ١٩٦٠م.
٦. النويري, شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب, *نهاية الأرب في فنون الأدب*, القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب, ١٩٨٠م.
٧. السيوطي, جلال الدين, *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*, بيروت: دار الفكر, ١٩٩٣م.
٨. أبو الفضل, عبد الرزاق بن فضل الله اللاهوري, *آئين أكبري*, ترجمة إلى الإنجليزية: هنري بلوسي, كلكتا, ١٨٧٣م.
٩. الحسن بن موسى النوبختي, *الآراء والديانات ومذاهب الهند وآراؤهم والعلة التي لها*, ضمن: مصادر التراث الإسلامي في مقارنة الأديان, (تحقيق حديث: محمد جواد مشكور), طهران, ١٩٦٥م.
١٠. ابن المقفع, عبد الله بن المقفع, *كليلة ودمنة*, بيروت: دار صادر, د.ت.
١١. سهل بن هارون, *بقلة وعفرة*, ضمن مجموعات التراث العربي القديمة, راجعه: إحسان عباس, القاهرة: المجمع العلمي العربي, ١٩٧٠م.
١٢. ابن صاعد الأندلسي, *طبقات الأمم*, تحقيق: لويس شيخو اليسوعي, بيروت: دار المشرق, ١٩١٢م.

١٣. إبراهيم بن حبيب الفزاري، *الزيج السندهند*)مخطوط، تحقيق جزئي في رسائل علم الفلك العباسية.(

١٤. محمد بن موسى الخوارزمي، *الزيج السند هند*، تحقيق: أحمد سليم سعيدان، عمان: جامعة البلقاء، ١٩٨٣م.

١٥. برهم غوبتا(Brahmagupta) ، *Brahmasphuta Siddhānta*، translated by Henry Thomas Colebrooke, London: The Royal Asiatic Society, 1817.

١٦. Surya Siddhānta (Anonymous author), translated by Ebenezer Burgess, New Haven: American Oriental Society, 1860.

١٧. Pauliśa Siddhānta, Romaka Siddhānta, Vashishta Siddhānta, Brahma Siddhānta — collected in: *Five Siddhāntas (Pañca-Siddhāntikā)* by Varāhamihira, translated by G. Thibaut and Sudhakar Dvivedi, Benares, 1889.

١٨. سليمان التاجر وأبو زيد السيرافي، *رحلة سليمان التاجر وأبي زيد السيرافي إلى الهند والصين*، تحقيق: عبد الله الحبشي، أبوظبي: المجمع الثقافي، ١٩٩٩م.

١٩. السيد سليمان الندوي، *عرب و ہند کے تعلقات*، لكنؤ :دار المصنّفين – شبلي أكادمي، الطبعة الأولى ١٩١٧م، والطبعات اللاحقة ١٩٦٠م و١٩٧٠م..

٢٠. السيد سليمان.الندوي، *مقالات سليمان* .المرتب والمحقق :صباح الدين عبد الرحمن. لكنؤ: دار المصنّفين (شبلي أكادمي)، ط١، ١٩٦٢م.

٢١. فرشته، *تاريخ فرشته (تاريخ دولة دكن والهند)*، حيدر آباد، ١٨٣٢م.

٢٢. بهوجر(Bhoojar) ، *حوض الحياة*، ترجمة القاضي ركن الدين (مخطوط محفوظ في مكتبات الهند الإسلامية).

٢٣. Raja Rammohan Roy، *Tuhfat-ul-Muwahhidin (The Gift to Monotheists)*، Calcutta, 1804.

٢٤.Rai Manohar Lal, قصائد عربية مخطوطة ضمن ديوان الشعراء الهنود بالعربية, مكتبة آصفية, حيدر آباد.

٢٥. Edward Sachau, *Alberuni's India: An Account of the Religion, Philosophy, Literature, Geography, Chronology, Astronomy, Customs, Laws and Astrology of India*, London: Trübner & Co., 1888.

٢٦. Henry Thomas Colebrooke, *Essays on the Religion and Philosophy of the Hindus*, London: Williams & Norgate, 1858.

٢٧. Salim T. S. Al-Hassani, *1001 Inventions: Muslim Heritage in Our World*, Manchester: Foundation for Science, Technology and Civilisation (FSTC), First Edition 2006; Revised Edition 2012.

.... ***** ....